b

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:09، العدد:02 (2025)، ص107-119

# طوبونيميا الشرق الجزائري القديم ودورها في فهم التحولات الحضارية الكبرى في المنطقة

# Toponymy of Ancient Eastern Algeria and Its Role in Understanding Major Civilizational Changes in the Region

فارس دعاس

جامعة سطيف 02 (الجزائر)

f.daas@univ-setif2.dz

**معلومات المقال**

**تاريخ الإرسال:**
2025/10/11
**تاريخ القبول:**
2025/11/06

**الكلمات المفتاحية:**
- ✓ طوبونيميا
- ✓ الشّرق الجزائري القديم
- ✓ سيرتا
- ✓ المدغاسن

**الملخص:**

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على طوبونيميا الشرق الجزائري القديم وكيفية الاستفادة منها في فهم التحولات السياسية والثقافية في المنطقة، من خلال تتبع الحضور الطوبونيمي لبعض النماذج من المدينة والريف في المصادر الأدبية والمادية القديمة، مثل سيرتا، سيتيفيس، ثاموغادي، المدغاسن، والبحث في أصول هذه الأسماء ومدلولاتها وعلاقتها بالتحولات الحضارية الكبرى.

توصلت الدراسة إلى أن التحولات الطوبونيمية في الشرق الجزائري القديم ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتحولات الحضارية الكبرى التي شهدتها المنطقة، حيث تغيرت أسماء المدن والمعالم تبعا للتغيرات السياسية والثقافية، وأكدت الدراسة أنّ أغلب أسماء مدن الشرق الجزائري القديم أصلها محلي، غير أنها خضعت لتكييف لغوي بما يخدم الصبغة اللاتينية، وهي بين الأدلة التي تثبت فاعلية العنصر المحلي مقارنة بالعنصر الوافد في المنطقة.

**Article info**

**Received:**
11/10/2025
**Accepted:**
06/11/2025

**Key words:**
- ✓ Toponymy
- ✓ Ancient eastern Algeria
- ✓ Cirta
- ✓ Medracen

**Abstract:**

This study aims to shed light on the toponymy of ancient eastern Algeria and how to benefit from it in understanding the political and cultural transformations in the region. This is done by tracing the toponymic presence of some models of the city and the countryside in ancient literary and material sources, such as Cirta, Sitifis, Thamugadi, and Medracen.

The study concluded that the toponymic transformations in ancient eastern Algeria were closely linked to the major civilizational transformations that the region witnessed, as the names of cities and landmarks changed in accordance with political and cultural changes. The study confirmed that most of the names of cities in ancient eastern Algeria are of local origin.

**مقدمة**

يعد علم الطوبونيميا من بين العلوم التي أضحت قائمة بحد ذاتها على غرار اللسانيات والأنثروبولوجيا الثقافية وباقي العلوم الأخرى في هذا الميدان، وبفضل المخرجات البحثية المتوصل إليها أصبح بإمكاننا الحديث عن مرجعية تسمية الموقع، دلالاتها الجغرافية، وتصنيفها الطوبونيمي، وغيرها من المعلومات التي تزيد من قيمة ومصداقية البحث في علم التاريخ، وفي هذه الدراسة أردنا أن نربط بين هذا العلم وبين بعض أسماء الأماكن في الشرق الجزائري القديم، لذا تدور إشكالية هذه الدراسة حول العلاقة بين تربط بين التحولات الحضارية التي حدثت في الشرق الجزائري في القديم وما يقابلها من التحولات الطوبونيمية التي طرأت على أسماء الأماكن في المنطقة ذاتها.

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في الأصول الطوبونيمية لأسماء بعض المواقع الريفية والمدن في الشرق الجزائري القديم، واستخراج دلالاتها اللغوية وخلفياتها التاريخية بما يتيح لنا فهم عمقها الثقافي وواقعها الحضاري. كما تهدف إلى تبيان الصلة الوثيقة بين التحولات الطوبونيمية والمنعرجات الحضارية الكبرى التي شهدها هذا الفضاء الجغرافي، سواء كانت سياسية أو ديموغرافية أو ثقافية، بالإضافة إلى محاولة تتبع التأثيرات اللغوية الوافدة التي أحدثت تغيرا في بعض الأسماء المحلية، ولتحقيق هذه المساعي والأهداف، اعتمدت الدراسة على منهجية مركبة، حيث وظفنا المنهج التاريخي التحليلي لتتبع التغيرات التي طرأت على أسماء المواقع في الشرق الجزائري القديم عبر مختلف المراحل التاريخية ومحاولة ربطها بالتحولات الحضارية التي شهدتها المنطقة، إلى جانب المنهج اللغوي–الطوبونيمي لمحاولة رصد وتتبع الجذور اللغوية والتراكيب الصوتية لأسماء المواقع وعلاقتها بالبنيات اللغوية القديمة، فضلا عن المنهج الأثري–الأنثروبولوجي للبحث في مدلولها وعلاقتها بالواقع الثقافي والاجتماعي للمنطقة.

**1. علم الطوبونيميا وأهميته**

تعرّف الطوبونيميا (Toponymie) على أنها مصلح ذو جذور إغريقية مركب من مقطعين، طوبو (Topos) بمعنى المكان، وأنوما (Onuma) ويقصد بها الاسم، أي اسم المكان، وقد اختلفت ترجمات الباحثين الذين قاموا بنقل هذا المصطلح إلى العربية، بين من اكتفى بمصطلح علم الطوبونيميا، ومن ارتأى ترجمة المعنى ليصبح: علم أسماء المواقع، علم أسماء المعالم الجغرافية، أو المواقعيّة، الأماكنية (Dunbois, 1975, p. 26).

تعددت التعريفات الاصطلاحية لهذا العلم باختلاف رؤى الباحثين والمدارس المختلفة التي خاضت في هذا المجال المعرفي، فهناك من صنفها ضمن فصول الجغرافية التاريخية، وهناك أشار إلى أنها فرع من فروع علم الأسماء (الأنوماستيكا)، الذي يهتم بدارسة الأسماء وماهيتها اللغوية والاصطلاحية، ويرتبط هذا العلم بشمل أساسي بالعديد من الدراسات اللسانية والتاريخية، بالإضافة أيضا إلى علوم الجغرافيا والآثار، ويمكن أن نعرفها بشكل موجز على أنها: العلم الذي يدرس مرجعية ومفهوم ودلالة أسماء الأماكن وتطوراتها المتتالية مثل المدن


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والقرى والتضاريس ومصادر المياه، وهي البحث والشرح في المعاني والدلالات التي تساعد على فهم العلاقة بين الجوانب الطبيعية وصلاتها بالحضور البشري فيها، وأهدافها مرتبطة أساسا بالهوية واللغة والموروث الشعبي والثقافي (Akir, 2012, pp. 64-66).

تبرز قيمة هذا العلم في جوانب كثيرة، فهو يساعد على فهم الهوية اللّغوية للشعوب والحضارات القديمة، لأن أسماء المواقع تعد إرثا لغويا بالغ الأهمية، حيث توجد العديد من الشعوب والحضارات القديمة التي لم نعرف لغتهم وكتاباتهم إلا من خلال أسماء أعلامهم وأماكنهم، كما يعد البحث في هذا العلم إحياء للذاكرة الجماعية للشعوب، لأن وراء كل اسم معلم أو مكان معين دلالة تاريخية، ويصاحب كل تغير في اسم من الأسماء تغير في الأحداث والحقب التاريخية، كما يساعد هذا العلم إلى فهم مختلف التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تطرأ على المجتمع عبر مختلف الحقب التاريخية، وذلك من خلال ماهية الموقع وتسميته الطوبونيمية.

يرتبط علم الطوبونيميا ارتباطا وثيقا بثلاث علوم أخرى هي التاريخ والجغرافيا واللّسانيات، فلا يمكننا دراسة التاريخ دون العلم بأسماء الأماكن وماهيتها، فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحقبات التاريخية، كما ترتبط أسماء الأماكن أساسا بالطبيعة الجغرافية، حيث أن كثيرا من الأسماء الأماكنية لها دلالة جغرافية ترتبط بالأرض أو التضاريس أو المناخ، أما علم اللسانيات فهو العلم الأساسي الذي تستند إليه الطوبونيميا، فأسماء المواقع هي جزء من اللغة لا تولد اعتباطيا بل هي منتقاة بعناية من القاموس المعجمي للغة (زياني، 2019، الصفحات 38-40).

ارتبطت الطوبونيميا بالعديد من المضامين الاصطلاحية، مما جعل الباحثين يحاولون تصنيفها في أقسام محددة، فهناك أسماء الأماكن المرتبطة بالتضاريس (الجبل، الثنية، الذراع، الشعبة، الكدية)، ويطلق عليها تسمية الأورونيم (oronyme)، ويمكن أن نقدم أمثلة من المناطق الحالية في الجزائر، مثل ذراع الميعاد، ذراع الميزان، ثنية الحد، الكدية...إلخ، وهناك أسماء الأماكن المرتبطة بمصادر المياه مثل العين، الحاسي، الوادي، الشط، العنصر، السبخة)، ويطلق عليها تسمية الهيدرونيم (Hydronyme)، ونذكر بعض المناطق مثل: عين ولمان، رأس الواد، مدينة الوادي، حاسي مسعود، مدينة العنصر...إلخ، وهناك أسماء الأماكن المرتبة بالأعراق والإثنيات وتدعى الإثنونيم (Ethnonyme) ، والتي تتعلق بالقبيلة أو العشيرة، مثل مدينة النمامشة، آيت أشليح، أولاد سي أحمد، أولاد تبان...الخ، وهناك أسماء المواقع التي ترتبط بشخصية معينة مثل بلدية عزيل عبد القادر بباتنة، وهناك أسماء الأماكن المركبة التي لها معاني أخرى تتعلق بقوة الدين والمقدس، أو تتعلق بأسماء الحيوانات مثل واد الضبع، درب القطوط (خواجة، 2019، الصفحات 2-3).

يعد القرن التاسع عشر ميلادي التاريخ الذي بزغ فيه هذا العلم، تزامنا مع الأدبيات الفرنسية التي ركزت على أسماء الأماكن في فرنسا، من أمثال أوغست لونغنو (A. Lognon) وألبارت دوزات (A. Douzat)، أما الأعمال الطوبونيمية التي خصت الجزائر فهي قليلة نوعا ما، لكنها ليست منعدمة خاصة عندما نذكر الباحث أرثور بوليغران (A. Pellegrin) الذي عمل على الأسماء في كل من تونس والجزائر، وكذلك بعض الباحثين


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الفرنسيين الذي عملوا على الأسماء في منطقة القبائل عام 1893، بالإضافة إلى أعمال الباحث أندري باستي (A. Basset)، وبعد الاستقلال ظهر العديد من الباحثين الجزائريين الذين اشتغلوا في هذا المجال، من أمثال: زايد شرقوق وفريد برمضان وسالم شاكر وغيرهم (خواجة، 2019، الصفحات 6-7).

## 2. طوبونيميا المدينة في الشرق الجزائري القديم

حاول المؤرخ الفرنسي ستيفان غزال أن يروج لفكرة تتعلق بالمدينة والريف في بلاد المغرب القديم، ومضمون هذه الفكرة كون أن كل مدينة حسبه أصلها فينيقي بوني وكل قرية أو ريف أصلها محلي، ويعتبر هذا الحكم قاسيا نوعا، لذا حاولنا الرجوع لطوبونيميا أهم المدن في الشرق الجزائري القديم والبحث في مدلولات أسمائها بين الأصل المحلي والوفد، ونحاول كشف أهم التغيرات الطوبونيمية التي وردت عليها.

### 1.2. مدينة سيرتا

تعتبر مدينة سيرتا من أهم المدن القديمة في الشرق الجزائري، بحكم أنها لعبت أدوارا مهمة في التاريخ السياسي والثقافي للمنطقة، فقد أكدت الأبحاث التاريخية والتنقيبات الأثرية أن التواجد البشري فيها استمر منذ عصور ما قبل التاريخ مرورا لمرحلة فجر التاريخ، كما تزخر بإرث بوني كبير يعد الثاني من حيث الوفرة بعد قرطاجة في شمال إفريقيا، ويتمثل في مختلف الأنصاب والتماثيل والنقائش البونية، ومن جهة أخرى كانت عاصمة للملوك النوميد ومسرحا للعديد من الأحداث التاريخية المهمة، **فيا ترى ما معنى اسم سيرتا؟ وما هو أصله؟ وماهي التحولات الطوبونيمية التي طرأت عليه؟**

#### 1.1.2. حضور اسم المدينة في المصادر المادية والأثرية

ذكر اسم المدينة في العديد من المصادر المادية والأدبية القديمة، فقد جاءت في بعض النقوش البونية على هذا الشكل (KRT) أي ق ر ط أو كرطا، كما أنها وردت في بعض النقود النوميدية على هذا الشكل أي (ك ر ت ن) كرتن، وذكرت أيضا في أغلب النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية التي سلطت الضوء على بلاد المغرب، ويعد المؤرخ تيتوس ليفيوس (Titus Livius)هو أول من أشار إلى اسم المدينة (Tite Live, 1839, XXTX, 32)، وأشار إليها أيضا المؤرخ بوليبيوس (Polybius) في كتابه التاريخ الروماني ، وجاء اسم المدينة على هذا الشكل Cirta (سيرتا)( Polybe, 1850, XXXVII, 10;16) ، وذكرها أيضا كل من أبيانوس(Appein, 1997, XX, 23) وبومبيوس ميلا (Pomponius Méla) ( Pomponius Méla, 1850, I, 30 ) وساليستيوس (Sallustius)( Salluste, 1958, XXVI, 9) وسترابو (Starbo) (Strabon, 1881, II, 21) وديودروس الصقلي (Diodore de Sicile) (Diodore de Sicile, 1934, XXX, 4 ) وغيرهم، وجاءت على الشكل نفسه الذي ورد عند بوليبيوس.

وكلهم اتفقوا على أن المدينة كانت عاصمة للملوك النوميد، وكانت مزدهرة جدا ومحصنة وكان لها العديد من الأدوار التاريخية في مختلف المراحل والحقب التي مر بها المغرب القديم، كما أنها وردت باسم Cirtha (كيرثا) عند المؤرخ بطليموس (Ptolemaei) والكاتب فلورس (Florus)، وقد تغير اسم المدينة بداية


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

من العصر الإمبراطوري الثاني، حيث ذكر المؤرخ أوراليوس فيكتور (Aurelius Victor) اسم المدينة الجديد، وجاء على هذا الشكل (Constantina) (قسنطينة)، وذلك تيمنا بالإمبراطور قسطنطينوس (Constantinus) الذي أعاد بناءها بعد دمرت تماما سنة 311 ميلادي بفعل الحرب التي نشبت بين الأباطرة (Aurelius Victor, 1975, XL, 28 ).

### 2.1.2. المدلول والأصل

اختلف الباحثون حول أصل ومدلول اسم هذه المدينة، بين من يرجح فرضية الأصل الفينيقي البوني، وبين من يرجح فرضية الأصل المحلي، وقد اعتمد أصحاب الرأي الأول من أمثال الباحث برثي (A. Berthier) ومارسي (G. Mercier) على الاسم الذي ورد في إحدى النقائش البونية، والذي جاء على هذا الشكل (KRT) أي قرت أو قرطا، ورجح الباحثون أن هذا الاسم هو من أصل بوني فينيقي، ومعناه المدينة أو القرية، وذلك على غرار العديد من المدن الأخرى مثل مدية قرطاجة والتي تكتب (قرط حدشت) أي المدينة الجديدة.

أما أصحاب الرأي الثاني فقد استدلوا بالاسم الذي ورد على إحدى العملات النوميدية، من أمثال جون مزارد (J. Mazard) الذي أكد على الأصل المحلي اللوبي لاسم المدينة، بحكم أن الكلمة التي وردت في العملة هي (KRTHN) (كرضن) ولا علاقة له بالاسم الفينيقي قرت أو القرية، بحكم أن كل من حرفي الكاف والقاف موجودان في الأبجدية البونية وليسا الحرف نفسه، لذا تقرأ بالكاف وليس بالقاف، وهناك من أعطى مقاربات لهذا الاسم في اللهجات المحلية، "**اكرض**" بمعنى الشيء العالي المحصن أو منهى الشيء، وهي نفس المواصفات الجغرافية التي تنطبق على المدينة، وتوجد العديد من الأماكن التي تحمل نفس الاسم من أولاد كرض، وقبيلة أكرض الأمازيغية في المغرب الأقصى، وهناك من الباحثين من قارب بين اسم المدينة واسم قبيلة محلية تدعى الكيرتيزي (Kirtesiie) التي ذكرها الجغرافي بطليموس، والتي استقرت في حدود المنطقة.

**شكل رقم 01: العملة النوميدية التي وردت فيها اسم مدينة كرتن**

**المصدر:** (مهنتل، 2015، صفحة 203)

### 2.2. مدينة سيتيفيس

ظهرت مدينة سيتيفيس **Sitifis** على مسرح الأحداث في نهاية القرن الأول (حوالي 97 م) كمستعمرة عسكرية لقدماء الجنود الرومان، والإمبراطور الذي أسسها هو ماركوس كوكيوس نيرفا ( Marcus Cocceius Nerva)، وقد أسست في بداية في الأمر كمستعمرة عسكرية عمّرتها روما بمستوطنين إيطاليين على غرار


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المستعمرات الأخرى، بغرض ضمان السيطرة على الأراضي الخصبة في المنطقة، ومن جهة أخرى نشر الثقافة اللاتينية في هذا الإقليم، ومع مرور الوقت زاد نموها الديموغرافي وتطور فضائها العمراني وأصبحت شريان الحياة الاقتصادية في المنطقة، وذلك ما أهلها لتصبح عاصمة لمقاطعة موريطانيا السطايفية التي استحدثها الإمبراطور دقليانوس (Diocletianus) بين 292 و 293 ميلادي.

وفي القرن الرابع ميلادي بعد أن اعتمدت المسيحية كديانة رسمية للإمبراطورية عرفت المدينة مرة أخرى ثورة في النشاط العمراني والثقافي، وتجسد ذلك في بناء بعض المجمعات الكنسية التي تضم دور العبادة الخاصة بالديانة المسيحية، وبقيت المدينة تحمل القيمة نفسها في المجالين السياسي والثقافي خلال الفترة الوندالية والبيزنطية، وبقيت أثار القلعة البيزنطية لحد الآن شاهدت على أهمية مدينة سيتيفيس ودورها في تاريخ المغرب القديم (Drici, 2006, p. 529).

### 1.2.2. حضور اسم المدينة في المصادر المادية والأدبية

ورد اسم المدينة في العديد من النقائش اللاتينية التي وجدت في المنطقة، كما ذكرتها بعض النصوص الأدبية اللاتينية التي تكلمت على المدينة، والشيء المشترك بين كل التسميات التي وردت في هذه المصادر، هو أنها لها نفس الجذر اللغوي الأساسي من الكلمة، والمكون من مقطعين (Si/etif)، والاختلاف بينهم يكمن في الجزء الأخير من الكلمة، وربما يفسر ذلك بحكم خصائص اللغة اللاتينية التي تختلف فيها نهاية الكلمات كل مرة حسب موقع الكلمة من الجملة (زياني، 2019، الصفحات 42-43)، وسنحاول في هذا المبحث أن نستعرض هذه الأسماء كما وردت في المصادر.

ورد اسم المدينة أول مرة من خلال النقيشة اللاتينية التي أرخت لتأسيس المستعمرة التي أسسها الإمبراطور نيرفا، حيث جاء الاسم على هذا الشكل **Colonia** Nerviana Augusta Martialis Veteranorum Sitifensium، (CIL, VIII, 8441, 8473.) كما ورد اسم المدينة على هذا الشكل Sitifis (سيتيفيس) في العديد من النقائش اللاتينية الأخرى التي وجدت في المدينة وإقليمها(CIL, VIII, 8465, 8468, 8480) ، وهو الاسم الشائع بحكم تكرره أكثر من مرة، في حين ذكر الكاتب أميان مرسلان اسم المدينة على هذا الشكل Sitifim (سيتيفيم)، وتكررت تسمية Sitifi (ستيف) عند كل من الكاتبين بركوب وبطليموس، ووردت التسمية نفسها في إحدى النقائش اللاتينية (CIL VIII, 4692)، وجاءت بعض التسميات للدلالة على المقاطعة ككل، وذلك في مختلف القوائم التي ذكرت المقاطعات الرومانية في شمال إفريقيا، مثل Mauretania Setifinsis (موريطانيا السطايفية) (Drici, 2006, p. 529).

### 2.2.2. الأصل والمدلول

السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المبحث هو: **هل اسم مدينة سيتيفيس محلي أم لاتيني؟ وما هو مدلوله ومعناه؟** في الحقيقة لا توجد إجابة مقنعة لهذا ما عادا بعض المقاربات والنظريات التي أشارت إلى أن مدلول ومعنى الاسم يندرج ضمن إطار الطوبونيميا المتعلقة بالألوان، حيث نوهت هذه الدراسات إلى أن اسم


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المدينة مشتق من الكلمة المحلية أزديف (Esedif) والتي يقصد بها السواد أو التربة السوداء، وفي اللهجة التارقية تقابلها بنفس المعنى كلمة ouzzaf (أوزاف)، ولها حضور أيضا في المنطوق الشاوي: Asettaf (أستاف)، وفي اللهجة الميزابية: zettaf (زتاف)، وكل هذه الكلمات تنتمي إلى الجذر اللغوي (stf/ztf) والذي يدل على السواد، ويسمى هذا اللون في بعض القواميس أسطّاف وجمعه ئسطّافن (زياني، 2019، صفحة 46).

### 3.2. مدينة ثاموغادي

تقع المدينة الأثرية ثاموغادي حاليا في الشرق الجزائري على حوالي 40 كلم شرق مدينة باتنة، وهي مدينة قديمة بنيت خلال الفترة الرومانية تقع على الطريق القديم الرابط بين مدنية لامبيز (Lambése) تازولت ومدينة تيفست (Théveste) تبسة حاليا، شيدها الإمبراطور الروماني تراجان (Trajan) في حوالي 100 ميلادي، والبداية كانت عبارة عن مستعمرة عسكرية للدفاع عن المقاطعات الرومانية من جهة الجنوب، ومع مرور الزمن تطورت المدينة عمرانيا وزادت كثافتها الديموغرافية.

حظيت المدينة الأثرية بالعديد من الدراسات، وأجريت فيها عدد من الحفريات والتنقيبات التي كشفت معالمها، حيث قسمت المدينة عمرانيا وفق طريقين رئيسين الكاردو والديكامنوس ( Cardo Maximums, Decumanus Maximums)، والعديد من الطرق الفرعية الأخرى الموازية، وتضم المدينة عدد من المرافق العمومية الجميلة، والتي لا تزال قائمة لحد الآن مثل المكتبة، المسرح، الحمامات، السوق، المعبد، هذا بالإضافة إلى بواباتها الرئيسية التي تسمى قوس النصر، والتي تحمل اسم الإمبراطور المؤسس تراجان تكريما له وتخليدا لاسمه وانتصاراته، وتعد ساحة الفروم من أجمل المعالم التي تميز مدينة ثاموغادي، كما تزخر بالعديد من المجمعات ودور العبادة ذات الطابع المسيحي، وتضم أيضا عدد لابأس به من لوحات الفسيفساء الجميلة وأنواع من النقائش اللاتينية التي تؤرخ لتاريخ المدينة (Cagnat, 1989, pp. 45-48 ).

#### 1.3.2. حضور اسم المدينة المصادر المادية والأدبية

ذكر اسم المدينة في العديد من المصادر المادية والنصوص الأدبية، حيث أشار بروكوبيوس القيصري (Procopius) إلى المدينة وجاء اسمها على هذا الشكل (Thamugas) ثاموغاس، واعترض المؤرخ روني كانيا أن على هذه التسمية وأكد أن اسم المدينة هو (Thamugadi) ثاموغادي وليس ثاموغاس (Procope, 1990, II, 13)، وقد استند في ذلك إلى العديد من المصادر الأثرية مثل قائمة بوتينجر ( Table de Peutinger) وقائمة أونطنين (l'Itinéraire d'Antonin)، وورد الاسم بشكل واضح في النقيشة التي أرخت لتاريخ تأسيس المدينة، حيث نقرأ في السطر الخامس منها (Colonia Marciana Traiana Thamugadi) ويقصد بها مستعمرة ماركيانا ترايانا ثاموقادي (Cagnat et Beswillwald et Ballu , 1905, p. 6) ، في حين ورد اسم المدينة في العديد من النقائش اللاتينية التي وجدت في تيمقاد ولامبيز، وتكتب في الغالب بشكل مختصر، فقد ووجدت على هذه الأشكال **Tham**. ،Thamug. ،Thamg. (CIL, VIII, 2387, 2403, 2699, 2700)، ويتغير اسمها في بعض المصادر الأخرى خاصة في نهاية الكلمة، مثل Thamugdis


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

Thamugade، Thamugadem، وذلك يتعلق بخصائص اللغة اللاتينية وموقع الكلمة من الجملة (Cagnat et Beswillwald et Ballu , 1905, p. 6)، أما اسم تيمقاد فهو الاسم المعرب الذي جاء على لسان الرحالة العرب الذي قدموا المنطقة بعد الفتوحات الإسلامية.

### 2.3.2. الأصل والمدلول

رجح أغلب الباحثين في الطوبونيميا أن اسم مدينة ثاموقادي أصله محلي، خاصة وأن حرف الثاء (Tha) التي ركبت منه الكلمة هو خاصية تركيبية للأسماء المؤنثة في اللهجات المحلية، ويظهر ذلك في العديد من أسماء المدن الأخرى مثل تمنغست، وتيفستيس، وتيهرت، أي أن الاسم مركب من جزئين (Tha) وهو حرف التأنيث والجذر اللغوي (Mgd)، وقد اختلف الباحثون والدارسون في تفسير معنى هذا الجذر، حيث يرى الباحث الفرنسي كانيا أنه متعلق بالإثنيات والأعراق المحلية التي كانت تقطن المنطقة، لأن النهاية التركيبية للاسم تتشابه مع بعض العرقيات الأخرى في شمال إفريقيا (Cagnat et Beswillwald et Ballu , 1905, pp. 6-7)، ويرى الباحث رين أن الاسم أصله محلي ومعناه صاحبة الخصوبة والعيش الطيب، ويتعلق الأمر باعتقاد ديني في الآلهة التي كانت تعبد في المنطقة (Rinn, 1893, p. 303)، في حين يرى الباحث ماسكوراي (MASQUERAY) أن الاسم يتعلق باسم نبات كان ينمو في هذه المنطقة (Masqueray, 1876, pp. 467-468)، وتبقى كل هذه المقاربات مجرد تخمينات وفرضيات تحتاج لرؤية أعمق من قبل أصحاب الاختصاص.

## 3. طوبونيميا الريف

يعتبر الريف الوجه الآخر للمدينة والمقابل لها أو المنطقة الجغرافية المفتوحة التي يقل فيها البناء والعمران، وهو العمق الحضاري الثاني لأي أمة بعد عمق المدينة، ويعد البحث في طوبونيميا الريف في الشرق الجزائري القديم من الصعوبة بما كان، ويرجع ذلك إلى قلة الأماكن التي تحمل مسميات واضحة، بالإضافة قلة القرائن والشواهد التاريخية التي تساعد على الدراسة، لذا فقد اخترنا نموذج واحد نعتبره من الآثار الريفية، لأنه يبعد على المدن القديمة في تلك الفترة بمسافة معتبرة، وهو ضريح المدغاسن الذي يرجع بنائه إلى حوالي القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد.

### 1.3.ضريح المدغاسن

يقع ضريح المدغاسن في بلدية بومية، دائرة المعذر، يبعد عن ولاية باتنة حوالي 35 كم، وقد كان هذا الضريح محل اهتمام الكثير من الباحثين الأثريين منذ القرن التاسع عشر ميلادي، حيث مكنت تنقيباتهم وحفرياتهم من التعرف على العديد من المعلومات عن هذا الضريح الملكي، ويتكون في مظهره الخارجي من قاعدة أسطوانية يعلوها مدرج مخروطي محاط بستين عامودا من الطراز الدوري وبعض الأبواب الوهمية، يبلغ طوله حوالي 18.5 م وقطره حوالي 58.86 م، وهو امتداد حضاري لمدافن البازينة المخروطية التي تعود لفترة فجر التاريخ، أما في مظهره الداخلي فيتشكل من مدخل رئيسي عبارة عن فتحة مربعة الشكل تقع في المخروط في درجه الدرج الثالث،


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ويؤدي المدخل إلى رواق طويل يبلغ طوله حوالي 17 م، وينتهي هذا الرواق إلى الغرفة الجنائزية التي تقع في مركز الضريح، يؤرخ الضريح إلى حوالي نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وبداية القرن الثالث قبل الميلاد، ويرجح أنه كان مدفن لسلالة بعض الملوك النوميد الذين حكموا المنطقة في تلك الفترة (لحسن، 2007، الصفحات 67-90).

### 1.1.3. حضور اسم الضريح في المصادر والنصوص الأدبية

يغيب اسم الضريح عن كل المصادر الأدبية الإغريقية واللاتينية، ما عدا إشارة واحدة في مؤلف تاريخ أغسطس (Histoire d'Auguste)، حين تكلم عن ضريح قد بناه العسكر الأفارقة تكريما لقائدهم أراديون الذي قتل في معركة أثناء مواجهة الإمبراطور الروماني بروبوس (Probus)، وقد قدم بعض المقاييس التي تتطابق مع المقاييس الحقيقية للضريح ( لحسن، 2007، صفحة 68). وتجدر الإشارة إلى أن اسم الضريح يغيب عن كل النقائش والكتابات اللوبية والبونية واللاتينية، وهذا يعد أمرا غريبا نظرا لقدم الضريح من جهة وضخامته، في حين نجد معالم أخرى أقل منه شأنا قد أعطيت حقها من الاهتمام، وهذه المفارقة قد شكلت صعوبة بالغة بالنسبة للباحثين المعاصرين في التأريخ لهذا المعلم الأثري ومعرفة أصله والملوك الذين دفنوا فيه.

وأول نص ذكر اسم هذا المعلم بصريح العبارة كان في حوالي القرن 11 ميلادي وهو تاريخ بعيد جدا عن تاريخ بناء الضريح، والجغرافي الذي ذكره هو البكري حين صادفه في طريقه من القيروان إلى قلعة بني حماد، حيث قال: "**قساس وهي مدينة قديمة على نهر في غربها جبل شامخ، وهنا نمر إلى قصر مادغوس، وهو ضريح يشبه هضبة كبيرة ومبني بالقرميد الرقيق المشوي على النار، بني على شكل محراب كبير، وورت فيه صور الحيوان، وهو مدرج النواحي وفي أعلاه شجرة نابتة، وفي شرق الضريح توجد بحيرة مادغوس وهو مكان تتجمع فيه كل أنواع الطيور**..." ( البكري، 1857، الصفحات 50-51)، وذكر اسم الضريح بعد ذلك من قبل بعض الرحالة الأوروبيين في القرن 18 ميلادي، أما اسم المدغاسن فهي التسمية المحلية لأهالي المنطقة للضريح.

### 2.1.3. الأصل والمدلول

توجد العديد من الفرضيات والنظريات حول أصل تسمية المدغاسن ومدلولها، فالبكري تكلم على اسم مادغوس، وهذا الاسم يشبه كثيرا اسم الجد الأول لفرع البتر مادغيس، الذي أشار إليه المؤرخ ابن خلدون، وقال إن هذا الفرع يسكن منطقة الأوراس، في حين هناك من فسر اسم الضريح تفسيرا لغويا، ونوه أنّ الكلمة مركبة من مقطعين: الأول (مدغ) والمقطع الثاني (سن)، ومعناه صاحب القبر (بوساحة ، 2007، الصفحات 28-30).

أكد الباحث إميل لاوس (E. Laoust) أن اسم المدغاسن ينتمي للجزر اللغوي (MDGS) (مدغس)، وعدد مجموعة كبيرة من أسماء الأماكن والمواقع في المنطقة المغاربية التي تنتمي إلى هذا الجذر، مثل قرية (تامدغوست) وواد (آمدغوس)، وواد آخر اسمه (آسيف إمدغاسن)، وفي اللهجة التارقية توجد كلمة (أطغاس)


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وجمعها (إطغاسن) وتعني اتساع الوادي، وفي نفس الصدد لاحظ هذا الباحث أن أسماء الأماكن التي تنتمي إلى هذا الجذر دائما ما تقترن بوجود مصادر المياه (Laoust, 1942, pp. 84-86)، وهو الطرح نفسه الذي قدمه المؤرخ الفرنسي كامبس (G. Camps) حين أشار أن اسم الضريح مشتق من اسم بحيرة مادغوسة القريبة من الضريح (Camps, 1973, p. 54)، وهي البحيرة نفسها التي ذكرها البكري في حديثه عن ضريح المدغاسن.

**شكل رقم 02: صورة لضريح المدغاسن**

المصدر: (عقون، 2011، صفحة 208)

**4. دور طوبونيميا الشّرق الجزائري القديم في تفسير الحركية الديموغرافية في المنطقة**

مرت منطقة الشرق الجزائري القديم على غرار باقي أرجاء الوطن بالعديد من التحولات الديمغرافية والاجتماعية والقبلية، فقد كانت من بين أولى المناطق التي استقر بها الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ، وعند هجرة الفينيقيين من المشرق إلى المغرب كانت سواحل الشرق الجزائري وبعض المدن الداخلية فيه محل استقطاب للوافدين الجدد، نظرا لما تزخر به هذه الجهة من مؤهلات اقتصادية تجارية وزراعية، ولعبت المنطقة دورها مرة أخرى حين برزت للسطح الممالك المحلية، حيث كانت مدينة سيرتا عاصمة لمملكة نوميديا الشرقية وعاصمة لمملكة نوميديا الموحدة، وبقي الدور نفسه والأهمية نفسها في فترة الاحتلال الروماني، حيث ركز المستعمرون الجدد على هذه المنطقة من أجل استنزاف ثرواتها الاقتصادية، وقد خلف ذلك إنشاء العديد من المدن ذات الطابع الروماني والعديد من المرافق الأخرى كالطرق وقنوات الري ومعاصر الزيتون وغيرها، واستمر تركيز المستعمرون على المنطقة في فترة الاحتلال الوندالي والبيزنطي، والأثار والقلاع البيزنطية شاهدة على ذلك.

كان لهذه التحولات السياسية والاجتماعية والديموغرافيا تأثيرا واضحا على التحولات الطوبونيمية للمنطقة، نظرا لواقع المثاقفة أو التثاقف نتيجة الاتصال المباشر بين السكان المحليين لشمال إفريقيا والوافدين الجدد، بداية بالفينيقيين الذين امتزجوا بالسكان الليبيين وكونوا جنسا جديدا سموا بالبونيين، وقد خلف هذا تحولا طوبونيميا في المنطقة حيث نجد العديد من أسماء المدن في شمال إفريقيا ذات أصل فينيقي أو بوني، مثل قرطاجة، أوتيكا...


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وغيرها، أما الرومان فقد فرضوا سياسية الرومنة التي كانت في مسار فرضت فيه روما لغتها وثقافتها على الأراضي التي احتلتها، من أجل استغلالها بكل سهولة وكبح كل مقاومة عسكرية أو ثقافية بسهولة.

تأثرت أغلب أسماء المدن والأماكن في الشرق الجزائري القديم بسياسة الرومنة، حيث تغير شكلها وطبع بطابع لاتيني، فقد تحول اسم مدينة قرطا أو كرضن إلى سيرتا **(Sirta)**، بعد أن تحول حرف القاف أو الكاف إلى حرف السين، وحرف الطاء أو الضاد إلى حرف التاء، فأصبح الاسم وكأنه لاتيني رغم محافظتها على شكله العام، ليحرف الاسم بعد ذلك تماما ويصبح **(Constantina)** على اسم الإمبراطور الروماني قسطنطينوس (مهنتل، 2016، الصفحات 88-89)، ومازالت المدينة تحمل الاسم نفسه لحد الآن رغم المحطات التي مرت عليه، وقد تغير اسم مدينة أزديف المحلية إلى اسم سيتيفيس ثم عربت بعد ذلك في فترة الفتوحات الإسلامية وأصبح اسمها سطيف، أما مدينة ثاموغادي فقد حافظت على شكلها المحلي كثيرا ولم تتغير إلى عندما عربت لتصبح تيمقاد.

حدث الشيء نفسه لأسماء مدن أخرى في الشرق الجزائري، مثل مدينة عنابة التي أسسها الفينيقيون وسموها هيبون (Hippon)، وطبعها الرومان بطابع لاتيني وأصبحت هيبورجيوس **(Hepoo Rugios)**، أي هيبون الملكية، ثم عربت لتصبح عنابة نسبة لنبات العناب، وفي فترة الاستعمار الفرنسي عادوا للاسم القديم، وأطلق عليها اسم بون (Bône) (دحامني، 2002، الصفحات 23-26)، والشيء نفسه على مدينة تبسة فقد عرفت بـ: إيكاتموبيلوس في العهد البوني، وتيفستيس في الفترة الرومانية ثم عربت لتصبح تبسة (عيساوي، 2014، صفحة 16).

من خلال تصفحنا للأسماء القديمة للمدن في الشرق الجزائري فإننا نجد أن معظمها ذو أصل محلي، يرتبط معناه بالطبيعة التي وجدت فيها أو بالأعراق التي سكنتها في أول الأمر، وقد احتفظت باسمها المحلي خلال فترة الاحتلال الروماني، رغم أنها أخذت الشكل اللاتيني إلا أنها حافظت على المضمون المحلي، وقد يساعدنا هذا في تفسير إشكالية غياب آثار المدن المحلية وبقاء سوى المدن الرومانية، هذه الإشكالية استغلها البعض في محاولته لتقزيم العنصر المحلي وعجزه في بناء حواضر أو مدن، وعلى النقيض من ذلك يمكن أن نقول أن أغلب المدن الحواضر الرومانية بنيت فوق مدن وحواضر محلية رغم غياب الدليل الأثري، ويمكن أن نستدل بالأصل المحلي لطوبونيمية لأغلب المدن الجزائرية القديمة.

**خاتمة**

من خلال ما سبق عرضه في هذه الدراسة التي تتعلق بطوبونيميا الشرق الجزائري القديم ودورها في تفسير الحركة الديموغرافية في المنطقة يمكن نستخلص ما يلي:

علم الطوبونيميا من العلوم المساعدة لعلم التاريخ يمكننا أن نستخدمه في فهم الهوية الثقافية واللغوية للشعوب. يرتبط علم الديموغرافيا بالعديد من المضامين الاصطلاحية التي ترتبط أساسا بالتضاريس أو مصادر المياه أو الإثنيات والعرقيات، أو الشخصيات البارزة، الدين والمقدس.


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مدينة سيرتا هي أبرز مثال عن مدن الشرق الجزائري القديم التي يمكننا من خلالها إبراز تلك علاقة بين التحولات الطوبونيمية بالتحولات الديموغرافية. مدينة سيتيفيس مدينة رومانية التأسيس، وطبونيمية اسمها تدل على أنها كانت آهلة بالسكان قبل أن يؤسسها الرومان، والآثار المادية تؤكد ذلك، والشيء نفسه ينطبق على مدينة ثاموغادي التي يدل اسمها المحلي على التواجد البشري فيها قبل مجيء الرومان.

اسم ضريح المدغاسن مستمد من بحيرة مدغوسة المتواجدة بقربه، وهو من بين أبرز المعالم الجنائزية في شمال إفريقيا وأقدمها، رغم أن اسمه ورد متأخرا مقارنة بتاريخ بنائه. التحولات الطوبونيمية في الشرق الجزائري القديم تتعلق مباشرة بالتحولات الديموغرافية والسياسية في المنطقة.

أغلب أسماء مدن الشرق الجزائري القديم أصلها محلي، وهي بين الأدلة التي تثبت فاعلية العنصر المحلي مقارنة بالعنصر الوافد في المنطقة.

**البيبليوغرافيا:**


- **المؤلفات باللغة العربية:**

1. البكري أبى عبيد (1857)، **المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب**، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
2. بوساحة أحمد (2007)، **أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر**، الجزائر، دار هومة.
3. لحسن رابح (2007)، **أضرحة الملوك النوميد والمور**، الجزائر، دار هومة.
4. دحماني، سعيد. (2002). **من هيبون إلى عنابة، تاريخ تأسيس قطب حضاري**. عنابة: اللجنة السياحية والرياضية للمجلس الشعبي البلدي.

- **المؤلفات باللغة الأجنبية:**

1. Cagnat, R. (1989). **Carthage, Timgad, Tébessa et les villes antiques de l'Afrique du Nord**. Paris : Librairie Renouard, H. Laurens, Éditeur.
2. Cagnat, R., Beswillwald, E. & Ballu, A. L. B. (1905). **Timgad : une cité Africaine**. Paris : Ernest Leroux Éditeur.
3. Dunbois, J. (1975). **Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage**. Paris : Larousse.
4. Laoust, E. (1942**). Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas**. Paris.
5. Mazard, J. (1900). **Corpus nummorum numidiae Mauretaniaeque (Préface de J. Babelon**). Paris : Arts et Métiers Graphiques

- **نصوص قديمة:**

1. Appein, H. (1997). **Histoire Romaine (Trad. D. Goukouwsky & E. Gaillard).** Paris : C.U.F.
2. Aurelius Victor. (1975). **De Caesaribus, XL (Éd. P. Dufraigne).** Paris.
3. CIL, VIII.
4. Diodore de Sicile. (1934). **Bibliothèque Historique, XXX, LXX, XXVI (Trad. A. F. Miot).** Paris.
5. Polybe. (1850). **Histoire générale, XXXVII (Trad. D. Roussel).** Paris : Gallimard, Bibliothèque de la Pléiade.
6. Pomponius Méla. (1850). **Géographie, I (Trad. M. Nisard).** Paris : J. Dubochet, Le Chevalier et Cie.
7. Procope. (1990). **La guerre contre les Vandales**, II. Paris.
8. Salluste. (1958). **Jugurtha, XXVI (Trad. Ernout).** Paris : Les Belles Lettres



Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

9. Strabon. (1881). **Géographie de Strabon, III (Trad. A. Tardieu).** Paris : Librairie Hachette.
10. Tite-Live. (1839). **XXTX (Trad. M. Nicard).** Paris : J. J. Dubouchet et Compagnie

- **المقالات باللغة العربية:**

1. زياني، الصادق. (ديسمبر 2019). **التحولات الطوبونيمية بالمجالات الكتامية من نهاية الفتح الإسلامي إلى القرن الهجري التاسع / 15م: دراسة نماذج.** مجلة مدارات تاريخية، المجلد 1، العدد 4، ص 36-59.
2. مهنتل، جهيدة. (2015). **الأصل المحلي لأسماء المدن الجزائرية القديمة.** حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد 5، العدد 9، ص 91-98.
3. عقون، محمد العربي (2011)، **العمارة الجنائزية النوميدية ضريح مدغاسن نموذج معماري نوميدي أصيل،** أفكار وآفاق، العدد 02، ص203-220.

- **المقالات باللغات الأجنبية:**

1. Akir, H. (2018). **Toponymie de la région Béjaia–Tichy–Aokas.** Revue Expressions, N°6.
2. Camps, G. (1973). **Opeservations sur l'architecture et l'âge du Médracen, Mausolée royal de Numidie.** C.R.A.I.B.L
3. Masqueray, E. (1876). **Voyage dans l'Aurès : étude historique.** In B.S.G.P., T.12.
4. Rinn, L. (1893). **Géographie ancienne de l'Algérie**. In R.A., 37e année, N° 211.

- **المداخلات:**

1. خواجة، عبد العزيز. (فيفري 2019). **الطوبونيمية في الجزائر: التراث الثقافي الغائب.** في الملتقى الوطني: الموروث الثقافي تأسيس لمستقبل الجزائر – الإمكانيات، التحديات، الفرص، جامعة أدرار، الجزائر.
2. عيساوي، مها. (2014). **المنشآت المعمارية الرومانية في مدينة تيفست،** ملتقى المدينة والريف، الجزائر.

- **المذكرات:**

1. مضوي، خالدية. (2016-2017). **التواصل الحضاري بمدينة قسنطينة (Cirta – Constantina) في العصور القديمة.** أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر.

- **مواقع الإنترنت:**

1. Drici, S. (2006). **Migrations et mouvements des personnes en Afrique du Nord: étude onomastique descolonies de Sitifis et Thamugadi**. Disponible sur : https://www.researchgate.net/publication/339828465


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)